الفنون

الفن المصرى

٢ ــ النحت

للدكتور احمد موسى

يكاد لا يختلف اثنان فى تقدير الفن المصرى القديم وخلود عظمته . بل والتأكيد بأنه أصل الفنون جميعاً ؛ ذلك الذى حدا بكثير من علماء الفن والآثار إلى الاشتغال بتحديد الصلة بين الفن المصرى وبين ما جاء بعده من فنون الاغريق وغيرهم ، والقول بأن الاغريق أول من اقتبس عن المصريين ، ويدللون على ذلك بمقارنات قياسية بين تصميم المعابد المصرية ، ونظيرها عند الاغريق كما يقارنون بين منحوتات المصريين وبين منحوتاتهم فى أول عهدهم ، ويحاولون إيجاد الشبه والمخالفة بين الاثنين ، ثم تراهم يعرجون بعدئذ على قواعد غاية فى الدقة تؤكد صدق قولهم ، منها تناسب الأعضاء ، وتشابه المجموع الكلى وتناظر الانشاء الشكلى

كل هذا قد يكون صحيحاً إلى حد كبير ، ولكن أهم ما يجب علينا أن نعرفه ، هو أن الفن المصرى بدأ ونما وازدهر ، ثم انحط وانتهى دون أن يصل فى مرحلة من مراحله إلى المثل الأعلى بمعناه الفنى ، لأنه لم يمثل الحقيقة تمثيلا يدل على سمو الخيال وروعة التصور وكان هذا ولا يزال معدوداً من القصور الحتمى الذى لم يمكن للتخلص منه بد ، لأنه نجم عن طبيعة أرض مصر ، ونفسية أهلها ، وصفاء سماء بلادهم ، وسهولة العيش دون الكفاح الكثير . وبالرغم من أن مرحلة الحضارة المصرية استغرقت حوالى ثمانية أضعاف الوقت الذى استغرقته حضارة الاغريق ، فانه للأسباب الطبيعية المذكورة لم يصل الفن المصرى إلى ما وصل إليه الاغريق .

وإذا كنا لا نزال نذكر ماقلته عن بعض منحوتات اكروبوليس أثينا ومعبد بارنتون ، وما يحتويه من تلك القطع الرائعة التى مثلت الحياة خير تمثيل ، وفى قوة وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل اليه الفن اطلاقا ، أمكننا أن نعرف بالمقارنة مدى ما وصل اليه المصريون

(ش ١) تمثال الكاتب

فى هذا النوع من الفن ، معرفة أقرب إلى الحقيقة العلمية منها إلى حشو القول !

لون المصريون كل ما تركوه بمقابرهم وأهرامهم ومعابدهم بألوان صناعية اتخذوا بعضها من الأرض ، هذا عند ما كانت من الحجر الجيرى أو الرملى ، أما فى الحالات الأخرى حيث كانت من حجر الجرانيت الوردى أو الأسمر ، أو حجر البازلت أو الديوريت أو السربنتين ، فانها تركت بدون تلوين اكتفاء بلونها الطبيعى . على أنه من المناسب أن أذكر شيئا عن الألوان الصناعية وكيفية عملها ، فاللون الأبيض كان من الجبس المخلوط ببياض البيض أو العسل ، والأصفر من الصنوبر أو الطفل ، والأزرق من مسحوق حجر الزبرجد أو من سلفات النحاس ، أما الأسود فكان من مسحوق العظام المحروقة

وإذا وجدت تماثيل خشبية أو حجرية من التى تقبل امتصاص الألوان وكانت غير ملونة ؛ فان هذا راجع فى الغالب إلى زوال الألوان بمرور القرون ، أو لأنها تركت قبل إتمامها لطارىء لم يكن فى الحسبان .

١(ش ٢) شيخ البلد (الأسرة الرابعة)

من هذا ترى أن الصلة بين النحات أو المثال وبين المصور أو المنمق كانت قوية وضرورية لاكمال الانتاج الفنى ، وكان هذا من أهم العوامل التى مهدت السبيل إلى وجود شبه عظيم فى تكوين كل من التماثيل والمصورات ؛ بل إنك لترى ما هو أكثر من ذلك ، إذا قارنت التماثيل بالمصورات من حيث الفكرة والانشاء ، فتقف حينئذ على مدى ارتباط كليهما بالآخر من حيث الناحية الفنية ، والمنهجية ، نعم كانت المنحوتات والتماثيل مجسمة ، على حين كانت المصورات نصف بارزة أو محفورة أو مسطحة ، فكان هذا دافعا إلى تصويرها من الجانب ، ولعله من الضرورى أن أشير هنا إلى حالة شملها النحت النصف البارز والمحفور كما شملها التصوير ، لم تكن تعرف ولم تشاهد إلا فى الفن المصرى وحده . هذه الحالة التى تعد طابعا مميزاً « Caracteristic » تتلخص فى أن المصور جعل تصويره للانسان كما لو كان ناظراً إليه من الجانب لمجموع الرأس والساقين والقدمين ، وكما لو كان مشاهداً إياه من الامام للعينين والصدر واليدين ، فهذا رغما عن أنه خطأ ، إلا أنه استمر طوال أيام الفن المصرى كله منذ بدئه حتى نموه وازدهاره الذى أعقبه الانحطاط والانحلال ، إلا فى بعض الأحيان التى لا يمكن اعتبارها قاعدة للفن من ناحيته العامة ، ولم يعرف للآن شىء عن الدافع لهذا اللهم إلا إذا كانت العينان والصدر واليدان أهم ما فى جسم الانسان من أعضاء فى اعتبار المصريين إجمالا أو فى نظر الفنانين على وجه الخصوص .

أما تاريخ النحت الكامل والنصف بارز « Relief » فهو وصف شامل لمراحلهما منذ عصر المملكة القديمة ، خصوصا فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة إلى آخر أيام النهضة المصرية ، ولما كان المجال لا يسمح بدرس هذا التاريخ تفصيلا ، فاننا هنا نعالج تطور هذين الفنين المرتبطين معالجة أقرب إلى الاجمال منها إلى التفصيل ، متخذين من بعض التماثيل نماذج كافية بعض الشىء للتطور والتقدم .

كانت عناية المثال والنحات فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة (٢٧٢٠ - ٢٥٦٠ ، ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م .) منصرفة إلى الاهتمام باخراج ملامح الوجه دقيقة التفاصيل صادقة التناسب ، أما بقية الجسم فكانت فى المرتبة الثانية من حيث الدقة وصدق المحاكاة ، بل إن هذه البقية كانت أحيانا رمزية أكثر منها حقيقية .

وأهم تماثيل هذه المرحلة - التى تعد من أهم مراحل النحت المصرى مما يناسب المقام هنا ، تمثال الكاتب المحفوظ بمتحف اللوفر وبمتحف القاهرة أيضاً .

والمشاهد للثانى منهما ، يراه جالسا على الأرض جلسة أقرب إلى تلك التى يجلسها الشيوخ القارئون اليوم (ش ١) ، واضعا قرطاسا على فخذيه ، ممسكا القلم بيمينه (المفروض هو أن يكون التمثال هكذا) شاخص العينين ، تدل ملامح وجهه على سحنة مصرية

وتمثال شيخ البلد تجده واقفا فى شىء من اليقظة وضخامة الجسم

(ش ٣) الأمير راحوتب والأميرة نوفرت (الأسرة الرابعة)

التى يجب أن تتوفر فيمن يقوم بالشياخة ، كما ترى بالجزء الظاهر من هذا التمثال الخشبى (ش ٢) تناسب أعضاء الوجه وحسن اخراجها إلى حد بعيد ، أما ملامح الخلقة فتعطيك فكرة صادقة لمهمة هذا الرجل ، فهو بها أقرب إلى الآمر منه إلى المأمور . وتمثاله الكامل (بمتحف القاهرة) واقف وبيسراه عصا طويلة وصل ارتفاعها إلى الكتف ، متناسبة من حيث غلظتها مع طولها والطول الكلى للتمثال

والصورة الثالثة تبين تمثالين ، الأيمن منها للأميرة نوفرت ، والأيسر للأمير راحوتب (بالمتحف المصرى) من أمراء الأسرة الرابعة أيضا . جلسا جلسة متناظرة تكاد تكون متشابهة على مقعدين متساوى الارتفاع ، وترى على كلا المسندين إلى يمين ويسار رأس كل من الأمير والأميرة كتابة هيروغليفية دلت على شخصيتهما

أنظر إلى الأميرة . وتأمل إلى أى حد بلغت قدرة الفنان المصرى فى ذلك الحين ، فاستطاع أن يصور لك الاحتشام والجمال بكل معانيهما . ولاحظ اختفاء الذراع اليسرى واليمنى إلا اليد فهى مبسوطة أسفل الثدى . ولم يخرج بروز الثديين عن حدود أصول الجمال والذوق والتناسب مع الشكل العام . تجلس الأميرة شاخصة إلى المثال وقد تحلى عنقها وأعلى صدرها وحول الرأس بجواهر سبق المصريون فيها

(ش ٤) أحد رجال الدولة (الأسرة ١٢)
٢٨ ٥ ٨

(ش ٥) تمثال امحوتب بن حابو

كل من عاصرهم أو جاء بعدهم . وعناية الأميرة بشعرها كما يتضح من مظهره ، كانت بلا شك فائقة . فتراه قد استرسل على الأذنين وغطى جزءاً من الجبين ، أحاطته من أعلى الرأس بطوق بديع الصنع ساعد على حفظ تصفيف الشعر كما زاد فى تجميل الرأس دون ازدحام . والوجه جميعه دقيق الاخراج ، جميل الوضع ، رائع التناسب . أما جلستها مع ضم الساقين بعضهما إلى بعض فهى وإن كانت من القيود التى أبعدت الحياة عن مجموع التمثال ، إلا أنها تدل إلى حد كبير على نبل الجالسة وسمو شخصيتها .

وجلس الأمير راحوتب فى وضع متشابه مع الأميرة ، ترى لأول وهلة أنه خالفها لوناً ومظهراً . فهو لم يغط من جسمه إلا الجزء الأوسط فضلا عن لونه الأسمر على نقيض الأميرة . ارتفعت الذراع اليمنى عن الصدر قليلا واليد مقبوضة الأصابع . كما تمتد الذراع اليسرى حتى تتمكن اليد من الاستناد على الركبة وهى مقبوضة الأصابع بشكل يتناسب وتوفر الارادة فى صاحبها . والتمثال فى مجموعه يعطيك فكرة واضحة لحسن انتباه الفنان حيث ترى البساطة فى الملامح والمجموع الكلى .

وإذا انتقلنا إلى الأسرة الثانية عشرة فجأة ، فذلك لامكان ادراك الفوارق بوضوح ، فالتمثال (ش ٤) يمثل أحد رجال الدولة جالساً بلباس ربما كان مخصصاً لأمثاله فى ذلك الحين ، وبالنظر اليه اجمالا

نجد الجسم مغطى من أعلى القدمين إلى أسفل الثديين ، كما نرى الرجل قد ترك الشعر مسدلا على الكتفين وقد اكتسب الوجه ، علاوة على دقة تفاصيله شيئاً من الحياة ، لاحظ تلك الابتسامة الضئيلة التى ارتسمت على محياه ثم تأمل فى الانشاء المجموعى ولاحظ مع هذا أن التمثال مصنوع من الجرانيت . أما طريقة وضع متجاورين ، واليدين أعلى الفخذين : فهذه هى نفسها الحالة التى شاهدناها بالتماثيل السابقة مع الفارق الزمنى الفسيح .

ولعل تمثال أمينحوتب (ش ٥) أشبه بتمثال الكاتب (ش١) من حيث الجلسة ، أما اهتمام الفنان بتقليد طبيعة الجسم البشرى من حيث الاجتهاد فى إظهار الثنايا أسفل الثديين وأعلى البطن فهو جدير بالنظر . تامل ما طرأ على مظهر الرأس وملامح الوجه من علائم التفكير ، والكيفية التى استطاع الفنان بها اظهار العينين والحاجبين . ثم الشعر وما فيه من تجاعيد زادت فى حسنه ، كل هذا دليل التطور والتقدم .

وكانت الأسرة الثامنة عشرة غنية بتماثيلها (١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق . م .) وبالنظر إلى احداها (ش ٦) ترى أن الشكل العام للتمثال أصدق محاكاة ، وأجمل تناسباً فى الأعضاء مما سبق مشاهدته ، والشىء الجديد الذى نلاحظه هنا هو تحلية الرأس بالأفعى المقدسة ، فضلا عن ظهور الجسم على جانب كبير من جمال التكوين ، وربما كانت الأذنان من أحسن الأجزاء التى يمكن مقارنتها مع ما شاهدناه فى تمثالى أحد رجال الدولة (ش٤) وشيخ البلد (ش ٢) إذ تتضح بذلك العناية بمختلف أجزاء الجسم مما يدل على إدراك أصول الجمال العام كنتيجة للتقدم العظيم فى عهد المملكة الحديثة .

(ش ٦) تحوتمس الثالث (الأسرة ١٨)

وفى تمثال رمسيس الثانى (ش ٧) مع ضآلة ما هو ظاهر منه ترى تفاصيل الوجه من جانبه دقيقة كما يبدو الجسم متناسب الأعضاء أما القدرة التى تجلت فى تكوين القدمين والأصابع فهى جديرة بالاعتبار حقا .

(ش ٧) رمسيس الثانى (الأسرة ١٩)

والزائر لمتحف القاهرة يستطيع بزيارة الصالات التى روعى فى ترتيب محتوياتها التدرج التاريخى ، أن يأخذ فكرة شاملة لفن رائع جمع إلى القدم ، جمالا خاصا ميزه على سائر منحوتات غيره من الشعوب .

(لها بقية) **احمد موسى**

لجنة التأليف والترجمة والنشر

احيـــاء النحو

للأستاذ ابراهيم مصطفى

الأستاذ بالجامعة المصرية

نظرية جديدة فى النحو تبدل قواعده وتيسر تعليمه

يطلب من اللجنة بدارها رقم ٩ شارع الكرداسى

بعابدين ـ القاهرة